ذ. امحمد العمراوي

المبين

عن

أدلة المرشد المعين

تقديم:

د. محمد التاويل

د. فريد الأنصاري

- الكتاب: المبين عن أدلة المرشد المعين.
- تأليف: ذ. احمد العمراوي
- الطبعة الأولى: 1427/ 2006
- رقم الإيداع القانوني :2006/1760

- جميع حقوق الطبع محفوظة

- طبع وتصميم : مطبعة آنفو-برانت 12، شارع القادسية، الليدو - فاس
- الهاتف : **035.64.17.26**

إهداء

إلى روحكَ الطّاهرة أبتاه،

وإليكِ أمّاه،

أهدي هذه الثمَرَات،،،

امحمد

شكر وتقدير

اعترافا بالفضل لأهل الفضل، وأداء لبعض الواجب، فإني أتقدم بخالص الشكر، وجميل الثناء، إلى كل من أعان على إنجاز هذا العمل وإخراجه للناس من قريب أو بعيد، خاصة أستاذي الفقيه الدكتور، سيدي محمد الناويل، و أخي الفقيه الأستاذ سيدي محمد العمراوي الذين تفضلا بقراءة هذا الكتاب ومراجعته، وإبداء ما رأياه من تصحيح وتصويب، وتوجيه وتسديد.

سائلا المولى الكريم سبحانه أن يبارك في عمرهما، وينفع بعلمهما، ويتقبل منهما حسن جهادهما، ويحسن جزاءهما في الدنيا والآخرة.

امحمد بن محمد العربي العمراوي السجلماسي

منهجي في هذا الكتاب

1. ترجمت للإمام عبد الواحد بن عاشرترجمة حافلة

2. تكلمت على منظومة المرشد المعين، وبينت قيمتها العلمية ، وأشرت إلى بعض شروحها.

3. شرحت أبيات المنظومة شرحا مختصرا ومركزا.

4. حاولت قدر المستطاع أن أستدل لكل مسألة بدليل أو أكثر، ورتبت الأدلة هكذا: القرآن فالسنة فالإجماع فالقياس...

5. عزوت الأدلة إلى مصادرها، فإن كان الدليل آية ذكرت رقمها واسم السورة الواردة فيها، وإن كان حديثا ذكرت من أخرجه من الأئمة، فأقول مثلا: أخرجه البخاري، كتاب كذا، باب كذا.

ثم إن كان مخرجه مالكا أو البخاري أو مسلما اكتفيت بما ذكر، وإن كان غيرهم بينت درجته وأقوال العلماء فيه، مع العلم أني لا أورد إلا حديثا قيل بصحته أو حسنه، وكل حديث أعدت ذكره فإني أكتفي في المرة الثانية فما بعدها بذكر من أخرجه دون ذكر الكتاب أو الباب أو الدرجة.

6. وثقت كل النقول وعزوتها إلى مصادرها.

7. ترجمت للفقهاء الواردة أسماؤهم في هذا الكتاب عند ذكرهم أول مرة، إلا من اشتهر كالإمام مالك رحمه الله.

8. وضعت جملة من العناوين لتقريب المعنى، وتسهيل وصول الباحث إلى مراده.

9. وضعت فهرسا بأهم مصادر ومراجع هذا الكتاب، وآخر للمواضيع المطروقة.

تقديم لفضيلة العلامة الفقيه الدكتور محمد التاويل أستاذ الفقه وأصوله بجامع القرويين وعضو المجلس العلمي بفاس:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين القائل: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"، وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد اطلعت مؤخرا على شرح جديد للمرشد المعين (نظم ابن عاشر) من تأليف العالم الجليل، والأستاذ الفاضل السيد امحمد العمراوي، خريج جامع القرويين، سماه: **المبين عن أدلة المرشد المعين**، فراقني عنوانه وموضوعه.

قرأت الكتاب فإذا هو كتاب جليل القدر، عظيم الفائدة، حافل بنصوص الكتاب والسنة. كان نظم ابن عاشر في حاجة ماسة إليه لشرح ألفاظه، وبيان مراده، وفك رموزه وتأصيل أحكامه، وتقعيد فروعه ومسائله.

كما كانت الساحة العلمية والمدرسة الإسلامية –وخاصة الفقهية منها– تتطلع إلى تلك النماذج من أمثاله في طريقته ومنهجيته.

تلك المنهجية التي جمعت بين جزالة اللفظ، ووضوح العبارة، ومتانة التركيب، وسلاسة الأسلوب من جهة. وبين العناية بالتأصيل والتقعيد برد الفروع إلى أصولها، وربط الأحكام بأدلتها ومصادرها الشرعية من جهة أخرى.

والرجوع بالقارىء والطالب والمتعلم إلى رحاب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لاستنباط الأحكام والاعتماد عليهما في اتخاذ المواقف واختيار الرأي الصحيح والقول الحق. والاعتصام بهما في دفع الباطل ورد كل شبهة تثار وبدعة ترتكب.

والكتاب بالإضافة إلى ذلك بالغ الأهمية بشرف موضوعه، ونفاسة محتوياته ومسائله التي تتمركز حول شعب الدين الثلاثة الواردة في حديث عمر رضي الله عنه: الإيمان والإسلام والإحسان، أو بعبارة أخرى العقائد والفقه والتصوف.

وهكذا يجد القارىء في هذا الكتاب من العقائد وعلم الكلام ما يعمق إيمانه ويرسخ عقيدته وينقي اعتقاده ،كما يجد فيه من التصوف ما يزكي نفسه، ويطهر قلبه وروحه، ويهذب سلوكه، ومن الفقه ما يصحح عبادته.

وهو كتاب الجميع لا يستغني عنه طالب علم ولا طالب عمل، جدير بالقراءة والاستفادة مما فيه

والسلام.

محمد التاويل.

فاس في فاتح جمادى الثانية 1427(28يونيو2006)

تقديم لفضيلة الدكتور فريد بن الحسن الأنصاري رئيس المجلس العلمي ورئيس شعبة الدراسات الإسلامية بجامعة المولى إسماعيل بمكناس:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه تعالى أستعين.

تقديم لكتاب **"المبين عن أدلة المرشد المعين"**

للأستاذ امحمد العمراوي

لقد أتى على الفقه المالكي حين من الدهر انقطع فيه الاهتمام- من لدن أهله المختصين به -بالاستدلال والتأصيل؛ لاشتغالهم بتصنيف الملخصات، وترصيف الحواشي والمنظومات، باعتبار أن أحكامه صارت ببلاد المغرب والأندلس أشبه ما تكون بالمتلقى من حقائق الدين بالضرورة! إذ ما عاد أحد يطلب دليلا لهذا الحكم أو ذاك، ما دام قد ورد في أحد المصنفات المالكية المعتمدة. وذلك بعدما استقر المذهب بهذه البلاد استقرارا متينا، وثبت في وجه التحديات السياسية والمذهبية، من بعد ما خاض علماؤه الأوائل كابن عبد البر والباجي وابن العربي وابن رشد، مناظرات ومجادلات ضد عدة مذهبيات، خرج منها المذهب منتصرا؛ ليكون بعد ذلك مذهب العامة والخاصة، ومذهب الدول المتعاقبة على حكم المغرب. ومن هنا كانت المراحل الأولى من تاريخ المذهب المالكي بالمغرب مراحل خصبة جدا، ارتقى فيها الاستدلال والحجاج لقضايا المذهب إلى أرقى مستويات الاجتهاد والاستنباط! ببيان طرق استثمار الأحكام، ووجوه مناطاتها، تخريجا وتنقيحا وتحقيقا، وما تستبطنه من وجوه احتمالات غيرها، من المرجوحات وغير المختارات، وقدر ما تحتمله من الصواب وعدمه؛ بما يجعل الدارس يتلقى الأحكام باقتناع وتسليم! كل ذلك جعل كتب العلماء المتقدمين مصادر، ليس لأدلة المذهب المالكي واستدلالاته فحسب؛ بل مدارس لتعليم الصناعة الاجتهادية، وتلقين الملكة الفقهية للنبغاء من طلبة العلم!

ثم جاءت مرحلة أخرى بعدها، صار الناس علماء وطلبة وكأنما قد أحرزوا الكفاية – أو قل التخمة – من التعاطي للاستدلال والحجاج، حيث ما عاد أحد يجادل في صواب الأحكام من حيث هي مذهبية مالكية، وإنما صار الخلاف نازلا، يدور حول أقوال العلماء داخل المذهب. ثم آل الأمر بعدُ إلى الاجتماع حول "المشهور"، و"ما جرى به العمل"، فصارت أحكام المذهب أشبه ما تكون بالمدونات القانونية الثابة الجامدة.

وفي عصرنا هذا تطور كل شيء..! فحدثت يقظة علمية في المشرق والمغرب، وصار لدى الناس نزوع جديد إلى الاستدلال والاجتهاد، خاصة وأن النوازل المعاصرة والقضايا الحديثة، تعددت وتعقدت، وجاءت بصور ربما لا تجد لها شبيها ولا مثيلا في المدونات الفقهية القديمة! خاصة في مجال المعاملات والمناكحات وبعض نوازل الجنايات، وأمور أخرى من نوازل التطبيب، وأنواع أخطاء الأطباء وأصحاب المهن وغيرهم كثير، مما يُنتظر من فقهاء العصر الجواب عنه باستدلال جديد.

ومن هنا فزع كل ذي مذهب إلى أصوله؛ بحثا عن مناهج أسلافه في الاستنباط والاجتهاد، فكان أن ظن بعض الشباب ومن لا علم له بأصول العلم أن المذهب المالكي عار عن الدليل، مفتقر إلى الاستدلال في كل أحكامه ونوازله؛ لاشتهار منظوماته وملخصاته العارية عن ذلك كله، وذيوعها بين الناس على حساب مصنفاته المصدرية الكبرى، ككتاب الاستذكار لابن عبد البر، وكتاب المنتقى للباجي، وأحكام القرآن لان العربي، وأمثال ذلك وأضرابه. فكان من الضروري إذن؛ أن يتفرغ العلماء وطلبة العلم الجادون لتجديد التصنيف في هذا العلم، بما يربط الأحكام بأدلتها، ويبين وجوه استثمارها وطرق تحقيق مناطاتها.

ومن أهم صيغ العمل في ذلك أن يعمد هؤلاء وأولئك إلى الملخصات المشتهرة أوّلاً، كرسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل ومتن المرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر وما شابهها، فتتم دراستها بصورة مركزة، بعرض أحكامها مقرونة بأدلتها، مع بيان وجه الدلالة لهذا الدليل أو ذاك، وكيفية شهادته للحكم

المقصود، بصورة تجمع بين الاختصار وعدم الإخلال؛ بما ينفع طالب العلم والمتلقي "المثقف" في هذا الزمان، الذي له حظ من المعرفة العلمية العامة، تؤهله لمعرفة الدليل والاستئناس بطرائق الاستدلال. ونحن نعلم أن كتبا شتى قد صنفت منذ القديم، في شرح مثل هذه الملخصات، والاستدلال عليها. فقد شَرَحَ الرسالة غير واحد من المتقدمين، شروحا وافية كافية. وكذلك جاءت شروح خليل من الوفرة بحيث تزيد عن الحاجة!

ولكن المقصود اليوم إنما هو تركيز البيان بذكر الدليل ووجه دلالته، بما يناسب حاجة العصر وظروفه، وأسلوبه أيضا؛ لإعادة الثقة في هذه الملخصات التي هجرها بعضهم جهلا؛ ظنا منه أنها لا أصل لها في الأقوال، ولا أصالة لها في الاستدلال. وبهذا يتم الإسهام الحقيقي في تجديد الفقه، وإحياء ملكة الاجتهاد بحول الله.

وبين أيدينا الآن نموذج جيد، يعبر عن هذه الرغبة العلمية الصادقة تعبيرا عمليا، حيث عمد الباحث الشاب الأستاذ امحمد العمراوي إلى تصنيف هذه الرسالة المسماة بـــ: (المبين عن أدلة المرشد المعين)، على متن المنظومة التي صنفها عبد الواحد بن عاشر - رحمه الله - والتي صارت مقررا في المدارس الإسلامية العتقية، منذ صدورها عن صاحبها إلى يوم الناس هذا! وقلما تجد واحدا من أهل العلم بالمغرب يذكر مسألة من أمور العبادات في المذهب المالكي إلا ويستدل لها ببيت أو شطر بيت من هذه المنظومة المباركة! وهي فعلا مباركة، ولا أدل على بركتها من أن الناس تلقوها بالقبول، وصارت متنا متداولا في كل مراكز التعليم ومعاهده، ما بين المدن والقرى والبوادي والجبال والصحاري.. لا تكاد تجد مكانا طرقه العلم وأهله إلا وتجد نسخ المرشد المعين قد سبقت إليه، واحتلت الصدارة في مواده وبرامجه.

وقد أحسن الأستاذ امحمد العمراوي في عمله هذا، حيث جاء واضح العبارة، حسن الإيراد للأدلة، متين الاستدلال؛ يورد النص المناسب للحكم المناسب، مع الاختصار الذكي، وحسن التخريج للأحاديث، مراعيا الصحة في كل ما ينقل، وقوة

الحجة في دلالته ومقصوده؛ بما يجعل هذا المصنف الجميل حريا بأن يلهج به الحفاظ، وتسير به وإليه الرواحل والركبان. فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء.

والأستاذ امحمد ليس بالغريب عن ميدان العلم الشرعي، بل في حجره وُلد، ومن لبنه رضع، وبباحته نشأ وترعرع! فعلاوة على حصوله على شهادة العالمية من جامعة القرويين – حرسها الله – فقد ولد في أسرة سجلماسية عالمة بـــ"تابوعصامت"، من آل العمراوي، المعروفة بالتفرغ لهذا الشأن، والتخصص فيه أبا عن جد، فكانت هي المدرسة الأولى التي تخرج منها صاحبنا.

وقد اقتربتُ شخصيا من الأستاذ امحمد، واحتككت به علميا أكثر، عندما قُدِّر لي أن ألقي دروسا في مادة "مقاصد الشريعة" في إطار "برنامج تكوين الأئمة والمرشدات" بالرباط، تكليفا من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فكان صاحبنا من أكثر الطلاب آنئذ مواظبة واهتماما، ومن أجودهم كتابة في الامتحانات؛ بما جعلني أطمئن إلى أنه واحد ممن يعول عليهم – بحول الله – في إعادة تجديد العلم بهذا البد الأصيل. وإنما الموفق من وفقه الله.

وكتبه بمكناسة الزيتون عبد ربه: فريد الأنصاري.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الحليم المنان، القائل سبحانه في محكم آي القرآن: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ أحمده تعالى وأشكره على كل حال، وأعوذ به من حال أهل النار، وأصلي وأسلم على سيد الخلق، وحبيب الحق، نبي الهدى والرحمة، القائل "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، وعلى من تبعهم بإحسان في كل زمان ومكان.

وبعد:

فلقد ابتلي الفقه في العصور المتأخرة بآفتين عظيمتين، وأصيب ببليتين خطيرتين:

- أولاهما: فصله عن أدلته من قرآن وسنة وإجماع وقياس... حتى إنك لتقرأ سفرا كاملا –وربما أسفارا– وتمر أمامك عشرات المسائل، ومآت الأحكام، دون أن تظفر بدليل على حكم، أو تقع عينك على نص لمسألة، بينما تجد قال فلان وفلان في محل الاستدلال والتعليل، والاستشهاد والتأصيل عشرات المرات!! ولسنا هنا نتهم فقهاءنا العظام، أو نقلل من شأن أئمتنا الأعلام، كيف وقد رفع الله تعالى منزلتهم، وأعلى النبي ﷺ مكانتهم؟ معاذ الله! فقد فعلوا ذلك لظروف فرضته، وأحوال اقتضته، ليس هذا محل بيانها وتفصيلها.
- وثانيتهما: تعقيده، فقد صارت كتب الفقه مقفلة، وألفاظها مغلقة، وعباراتها مبهمة ومعقدة، بل صارت ألغازا لاتكاد تفهم، وطلاسم تحتاج إلى وحي يسفر عنها، ويبين المقصود منها، فما هي إلا مختصرات لمختصرات... كل منها يحتاج إلى شروح مستفيضة ومتعددة لبيان مشكلاته، وفك ألغازه، وكل شرح تلفيه محتاجا إلى

عدد من الحواشي تحل مقفلاته، وتوضح مبهماته، وهذه الحواشي نفسها تحتاج إلى توضيحات وتعليقات ترفع الالتباس، وتزيل الغموض!!!

فمثلا، هذه مدونة سحنون اختصرها غير واحد من العلماء منهم ابن أبي زيد، ثم جاء البراذعي واختصر المختصر، فلما جاء ابن الحاجب اختصر مختصر سلفه (البراذعي)، فلما جاء خليل اختصر مختصر سابقه (ابن الحاجب) -رحمهم الله جميعا- وعذرهم في ذلك قصور الهمم، وضعف العزائم، ثم اشتغل الناس زمانا بمختصر خليل، ما بين شارح ومحش ومعلق، وكانت النتيجة أن صار الفقه حك ألفاظ، وحل ألغاز!!!

ولقد كان هذا الفقه من زمن البعثة النبوية إلى منتصف المائة الخامسة تقريبا (450) معافى من هاتين الآفتين، ومحفوظا ضد هاتين البليتين، فهاهي ذي كتب المتقدمين سهلة العبارات، واضحة المقاصد والإشارات، ليس فيها تعقيد ولا إلغاز، تجمع الحكم إلى دليله، وترد الفرع إلى أصوله، كما فعل ابن أبي زيد في "الرسالة"، والقاضي عبد الوهاب في "المعونة على مذهب عالم المدينة" وغيرهما كثير.

ولقد حز في نفسي منذ ما يزيد على عقد من الزمان أن تكون كتب المالكية المتداولة بين الناس، والمقررة في المدارس والمعاهد، كشرحَي ميارة على المرشد المعين، وشروح الرسالة والمختصر والتحفة... خِلْوًا من الدليل، ليس فيها إلا الفقه المحض، والآراء المجردة، مع أن الإمام مالكا -رحمه الله إمام المذهب- قد جمع بين الفقه والحديث، وحاز قصب السبق في الرواية والدراية، جمع الله له الأمرين، وسلم له الجميع الإمامتين، إنها -إذن- لمفارقة عجيبة، ونازلة غريبة!!

ثم إني عزمت على ربط ما أمكنني من هذا الفقه بأدلته، ورد ما أستطيع من فروعه إلى أصوله -خصوصا بعدما يسر الله تعالى لي ولوج جامع القرويين العامر بفاس، وحضور حلقاته العلمية، والأخذ عن نخبة فاضلة ومتمكنة من علمائه وأعلامه، على مدى ثلاثة عشر عاما متواصلة هي مدة الدراسة به- لجملة من الأسباب، أهمها ما يلي:

1. الإمام مالك إمام في الفقه والحديث، ولا يليق بكتب تحمل مذهبه أن تخلو من الدليل.
2. إمداد الباحث بالدليل الشرعي، حتى يكون من الأحكام على بصيرة، وتكون نفسه بها راضية مطمئنة.
3. إلحاح العامة من الناس، فضلا عن طلبة العلم في طلب الدليل والبحث عن المستند.
4. تحفيز الباحثين والدارسين من طلبة العلم على إعمال الفكر، وإمعان النظر في تلك الأدلة.
5. بيان أن الفقه المالكي فقه مقعّد ومؤصل، وليس مجرد أقوال وآراء.
6. عرض الأحكام الفقهية بأسلوب سلس، وعبارات ميسرة، حتى يستطيع كل واحد أن ينال منها ما يصلح به أموره وأحواله.

وقد اخترت منظومة "المرشد المعين، على الضروري من علوم الدين" لما يلي:

1. كونها تدرس في جميع معاهد العلم ومدارسه المنتشرة في ربوع المغرب الإسلامي الكبير، وبعض الأقطار الأخرى.
2. كون الآلاف من حملة القرآن الكريم يحفظونها.
3. تحامل بعض الناس عليها، وادعاؤهم بالباطل أنها تخالف السنة !!! محتجين بقول صاحبها–رحمه الله– "سدل يد... " وقوله "وكرهوا بسملة تعوذا.. ".
4. جمعها لما تفرق في غيرها مما لايسع المكلف جهله بحال من أمور العقيدة والعبادات والتصوف.
5. اشتغالي بتدريسها غير ما مرة.

هذا، وإني أعترف بأني لست من أهل هذا الشأن، ولو وجدت من كفاني هذه المؤونة ما تجشمت هذه المشاق، ولا اقتحمت هذه الصعاب، ولكن:

إذا لم تكن إلا المنية مركبا ** فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فإن أصبت ووفقت فمن الله، وبمحض فضله وكرمه، وإن كانت الأخرى فأسأل الله أن يغفر لي ويتجاوز عني، فإنما الخير قصدت، ورحم الله امرءا أهدى إلى عيوبي، وبصرني بأخطائي، حتى أتداركها مستقبلا إن شاء الله.

اللهم إني أسألك أن تتقبل مني هذا العمل، وتجعله خالصا لوجهك الكريم، اللهم انفعني به ووالديّ وأولادي وجميع أهل بيتي، وشيوخي، وكل من قرأه أو سمعه أو نظر فيه. آمين، والحمد لله رب العالمين•.

وكتبه الفقير إلى رحمة الله الكريم:

أبو أنس امحمد بن محمد العربي
العمراوي السجلماسي

•اقتصرتُ في هذه الطبعة على العبادات، و لم أتمكن من إدراج العقائد والتصوف لأسباب خاصة، وإني- إذ أعتذر لمؤلف هذه المنظومة وحفاظها- أسأل الله تعالى أن يزيل الموانع، ويوفقني لإدراج ذلك في طبعة موالية أو طبعهما في كتاب مستقل. (المؤلف)

ترجمة الإمام عبد الواحد ابن عاشر - رحمه الله-

تقديم:

قصتي مع الإمام ابن عاشر رحمه الله:

شخصية الإمام عبد الواحد بن عاشر –رحمه الله– شخصية متميزة، رزقها الله تعالى شهرة واسعة، وقبولا كبيرا على مدى مئات السنين في بلاد الغرب الإسلامي عموما، وفي بلاد المغرب الأقصى خصوصا،

ولا أراني مبالغا إذا قلت: إن أشهر شخصية علمية عند جميع شرائح المجتمع المغربي الكبير، –والذي يشمل المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس وليبيا، كما يشمل بلاد السودان بما في ذلك السودان ومالي وتشاد والنيجر وغيرها من تلك البلاد،– هي شخصية الإمام عبد الواحد بن عاشر –رحمه الله–! وذلك من خلال منظومته الشهيرة الموسومة ب "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، والتي يحفظها –وإلى اليوم– طلبة العلم من ولدان المغرب الكبير قريبا من حفظهم للقرآن الكريم،

هذه الشخصية عرفتها وأنا طفل صغير، في سنوات عمري الأولى حينما كنت أتردد على الكُتّاب لحفظ ما تيسر من القرآن الكريم على يد فقيه القرية، حيث إن الفقيه كان يخصص جزءا من الوقت في آخر حصتي الصباح والظهيرة[1] لتحفيظنا عدة أبيات من منظومة ابن عاشر، فإذا حفظناها أضاف إلينا مجموعة أخرى في اليوم الموالي وهكذا.

رحلت من قريتنا –تابوعصامت– إلى قرية بضواحي مدينة بعيدة لإتمام حفظ القرآن الكريم، فيما يعرف عندنا بنظام الرتبة[2]، وهناك بدأت أسمع أن منظومة ابن عاشر لا تصلح لشيء، وأنها من الكتب التي تخالف السنّة، وبالتالي تستحق أن

---

1 أما حصة المساء فكنا نكرر فيها الربع الأخير من الحزب الأخير من القرآن الكريم.
2 يعرف في بعض جهات المملكة بنظام التخنيشة

تحرق، ولا تجوز قراءتها! بل سمعت من بعضهم أفعالا شنيعة، فعلوها بهذه المنظومة[1] مما ترك في نفسي جرحا عميقا، وألما كبيرا، لكني كتمت الأمر، "وأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم[2]"

وتساءلت في نفسي: أيمكن أن تكون هذه المنظومة بهذا السوء ويسكت عنها العلماء؟ هل كل أولئك الذين شرحوها وهؤلاء الذين يُدَرّسونها لا يعرفون أنها تخالف السنة؟

ومنذ ذلك الحين بدأت أفكر في الموضوع بجد، لكن ماذا باستطاعتي أن أفعل وأنا طالب في بداية الطريق، وشاب في مقتبل العمر؟

بعد مدة –وقد حفظت القرآن الكريم– التحقت بجامع القرويين لطلب العلم، وكانت المنظومة مقررة في السنة الأولى، كما هو الحال في جميع معاهد المغرب، وكان يُدرسها يومئذ شيخنا الفقيه العلامة الدكتور سيدي محمد التاويل[3] –حفظه الله– وشيخنا الفقيه العلامة سيدي محمد العمري –رحمه الله–

وخارج أبواب القرويين بدأت أسمع الكلام نفسه –أي إنها تخالف السنّة– بقوة، وبدأت أسمع أصحابه يرددون دليلا على ما يزعمون، قول الناظم في مستحبات الصلاة "سدل يد" وفي مكروهاتها "وكرهوا بسملة تعوذا" ولا يزيدون، فقلت في نفسي: هب أنه خالف السنة في هاتين، هل يستحق كل هذا الجفاء وهذا التنقيص؟

ووقفت ذات مرة على كتاب "دروس في الفقه" –وهو عبارة عن شرح لمنظومة ابن عاشر، فيه بعض الأدلة– ففرحت به غاية الفرح، واعتبرته أول الفتح في هذا الموضوع.

ثم أدركت أن المنتقصين من قيمة هذا الإمام ومنظومته هم جماعة من الناس – منهم الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ، ومنهم الدكتور الذي يحمل أعلى الشهادات– انبهروا بشعار الكتاب والسنة الذي رفعته بعض الجهات، ولم يكن عندهم من الزاد

---

1 إن أحدهم قال بكل خسة ووقاحة: إنه تبول عليها! لمخالفتها السنة في زعمه!.

2 سورة يوسف آية:77

3 أذكر أن طالبا سأله يوما في حلقة الدرس: لماذا لاتدرس فقه السنة؟ فأجابه مبتسما: وهل نحن ندرس الآن فقه البدعة؟

العلمي ما يكفي ليتبينوا أن ما قاله الإمام ابن عاشر –رحمه الله– هو من صميم الكتاب والسنة.

ثم بعد مدة –كنت أقدم فيها رجلا وأؤخر أخرى– قررت الدخول في مغامرة علمية تتمثل في شرح منظومة "المرشد المعين، على الضروري من علوم الدين" بالأدلة الصحيحة الصريحة، فتم لي ذلك بفضل الله سبحانه، وجاء كتابي الأخيار "المبين عن أدلة المرشد المعين" تتويجا للحب الذي كنت وما زلت أكنه للإمام ابن عاشر، ولكل علمائنا رحمهم الله،

ثم جاءت هذه الترجمة –والتي أسأل الله أن تكون وافية– لهذا الإمام، تبصرة لأولئك الذين أخطؤوا في حقه وحق منظومته، راجيا من الله تعالى أن يهدينا وإياهم للخير، وهدية لغيرهم من محبي هذا الإمام.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، آمين.

المبحث الأول:

التعريف بالإمام عبد الواحد بن عاشر*:

أولا: اسمه ونسبه:

هو العالم العلم، الفقيه الإمام، شيخ الإسلام، وعلامة الزمان أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر بن سعد الأنصاري نسبا، الفاسي منشأ ودارا، هاجر أجداده من الأندلس، واستوطنوا مدينة فاس.

وكنيته أبو محمد، وكناه غير واحد بأبي مالك[1]

وقد اتفق المترجمون للإمام ابن عاشر –فيما وقفت عليه من المصادر– أن ولادته كانت بفاس، عام تسعين وتسعمائة للهجرة، وبها "نشأ على كريم الأخلاق، وتربى في بيت يغمره الفضل والصلاح"[2]

ثانيا: شيوخ الإمام ابن عاشر رحمه الله:

أ-شيوخه في القرءان وعلومه:

أخذ الإمام ابن عاشر –رحمه الله– عن جماعة من العلماء الأعلام، وثلة من المحققين الكبار، منهم:

- أبو العباس أحمد بن عثمان اللمطي: قال الشيخ ميارة: قرأ القرآن –حفظا وتجويدا– على الإمام الشهير، الأستاذ المحقق، أبي العباس أحمد بن عثمان اللمطي[3]
- وأخذ قراءات الأئمة السبعة، عن الأستاذ المحقق أبي العباس أحمد الكفيف،
- ثم عن العلامة الشهير خطيب فاس ومفتي حضرتها، أبي عبد الله محمد الشريف المري التلمساني وغيرهما، والمري هذا هو "الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد

---

*انظر ترجمته في صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ص: 124 وشجرة النور الزكية 299/1 وخلاصة الأثر 400 ونشر المثاني بأخبار أهل القرن الحادي عشر والثاني 283/1 وسلوة الأنفاس والتقاط الدرر ص: 91 والدرر البهية للفضيلي: 344/2 والروض العطر الأنفاس ص: 340 والفكر السامي للحجوي 327/4 وريحان الأدب 88/8 وغير ذلك

1 انظر : شجرة النور الزكية :1/ 299، ومورد الشارعين في قراءة المرشد المعين ص:4

2 القراءات والقراء ص:46

3 الدر الثمين والمورد المعين ص:4

بن أحمد المري التلمساني كان فقيها صالحا يقوم على الرسالة[1] بنقل سائر شروحها، وولي الفتوى بالقرويين، ويقال إنه كانت وقفة في أيامه، وطلب الناس منه أن يخرج للاستسقاء، فأخذ جميع ما عنده من الزرع وفرقه على المساكين وقال: الآن أخرج للاستسقاء حين صرت من جملة الفقراء فخرج، فلما كان قريبا من باب الفتوح أحد أبواب فاس والناس معه، قال لهم: انتظروني حتى أرجع إليكم، فلما رجع سئل عن الخبر فقال: تفكرت خميرة العجين لم أفرقها فرجعت لذلك ... توفي رحمه الله عام ثمانية عشر وألف"[2]

قال الشيخ ميارة "ولاشك أنه –أي ابن عاشر– فاق أشياخه في التوجيهات والتعليلات، رحم الله جميعهم"[3]

ب–شيوخ الإمام ابن عاشر في الحديث وعلومه:

أخذ الإمام ابن عاشر –رحمه الله– الحديث عن جماعة منهم:

1.الإمام أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار القيسي: حُلّي ب: الشيخ الإمام، قدوة الأنام، وحجة الإسلام، العالم العلامة، المشارك الدراكة، النسابة الواعية، الحجة الحافظ الراوية، المحقق النظار"[4] "كان رحمه الله متبحرا في جميع العلوم معقولها ومنقولها، وإليه كانت الرحلة والمفزع في حل المعوصات، وهو مع ذلك على قدم أهل الورع، مصحوبا بالخشية والمراقبة، لا يملك دمعه إذا ذكر الله،! ذو مروءة وسمت حسن، ولين جانب وتواضع، منصفا في المباحثة، يدور مع الحق حيث دار، ... وكانت وفاته في رمضان عام اثني عشر وألف.[5] وكانت ولادته عام ستة وثلاثين وتسعمائة، وامتحن رحمه الله.[6]

---

1 يقصد رسالة ابن أبي زيد رحمه الله.
2 صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ص: 162
2 الدر الثمين، والمورد المعين، شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ص:4
4 نشر المثاني في أخبار أهل القرن الحادي عشر والثاني86/11
5 صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ص: 61
6 شجرة النور الزكية295/1